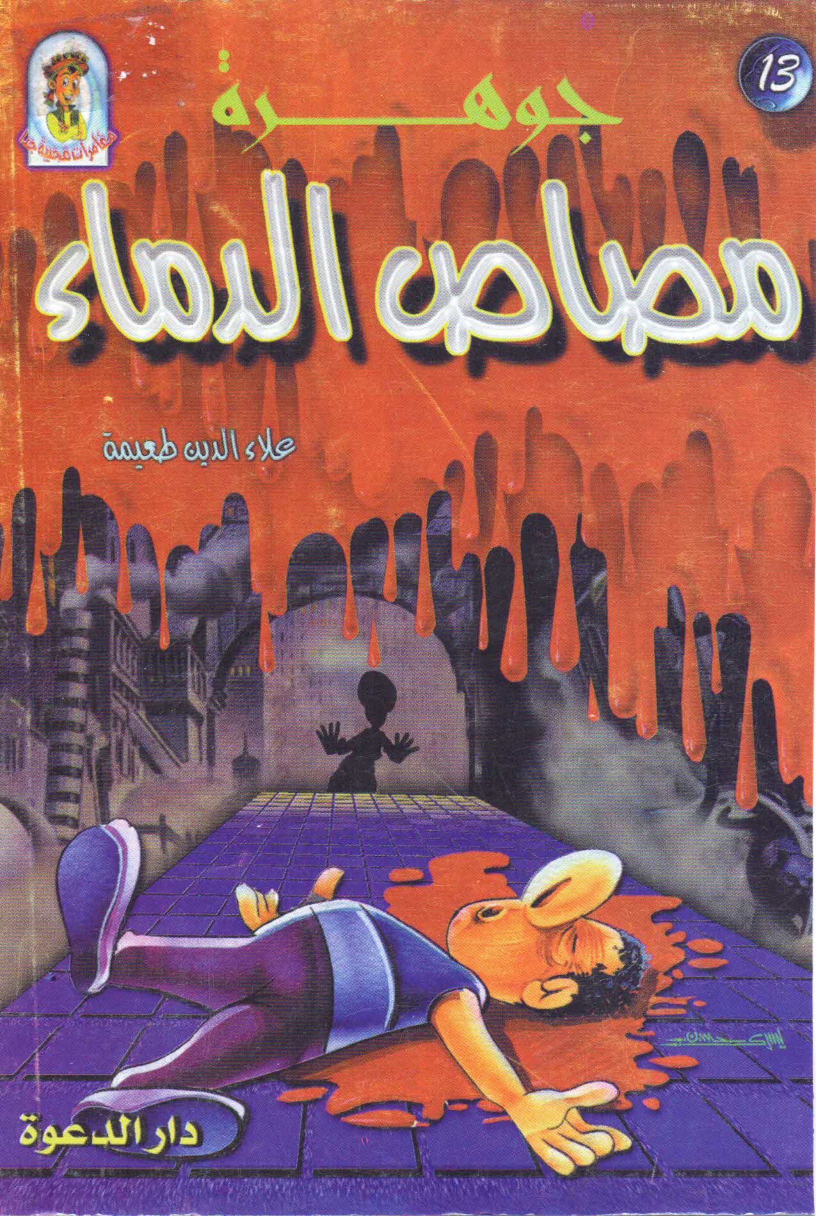

13
مغامرات عجيبة جدا
جوهرة
مصاص الدماء
علاء الدين طعيمة
دار الدعوة

جوهرة

مصاص الدماء

سيدتى إنك تتحدثين عن شىء خطير كيف تسكتون على ذلك؟.. لابد أن يتعاون أهل القرية من أجل الإمساك بمصاص الدماء هذا.. أو على الأقل.. تحديد شكله والمكان الذى يأتى منه.. هيا معًا نعرف كيف سيتعاون مؤمن وأهل القرية للتغلب على ما يواجههم من أخطار.

دار الدعوة

٢ شارع منشا - محرم بك - الإسكندرية

تليفاكس: ٣٩٠١٩١٤ - ٣٩٠٧٩٩٨ / ٠٣



مغامرات عجيبة جدا

- سلسلة مليئة بالإثارة والتشويق
- أغرب الرحلات والمفارقات
- تجمع بين المتعة والمعرفة
- لاغنى عنها في الرحلات والبيت والمواصلات

سلسلة

مغامرات عجيبة جداً ..

13

جوهرة

مصّاص الدّماءِ الأخِير

الطبعة الثالثة
١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م

رقم الإيداع القانونى
٩٨/١٤٩٣٥

الترقيم الدولى : 977-253-194-1

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع
المركز الرئيسى : ٢ ش منشا ـ محرم بك ـ الاسكندرية
☎ ٤٩٠١٩١٤ ـ ٤٩٠٧٩٩٨ ـ فاكس ٥٩٥١٦٩٥

جوهرة

مصاص الدماء الأخير

تاليف / علاء الدين طعيمة

رسوم / يسري حسن

الإشراف العام / أحمد خالد شكري



بسم الله الرحمن الرحيم

«في قَرْيتكم هذه.. جوهرتي التي أبحث عنها..
ها أنا بين دروبكم وبيوتكم العريقة.. لا شئ أجده
يدلني على جديد أفْعله.. تعوَّدت دائماً أن هناك
مغامرة في كل مكان أذهب إليه، ها أنا أمضي النهار
في شوارعكم وأحيائكم.. فلم يلفت نظري شئ..
فيما عدا إحساس تولَّد لديَّ.. أن في عيونكم شيئاً
من الخَوْف.. ماذا يعني ذلك ؟.»

هكذا كان مؤمن يُحدِّثُ نَفْسَه وهو يسير في
شوارع قرية من إحْدَى قُرَى المدينة الإنْجليزيَّة ويتأمَّل
البيوت الجميلة في معمارها.. حيث الأسقف الهرمية
المغطاة بالطوب الأحمر.. إنها بيوت الفلاَّحين
والعُمَّال.. كانوا يتركونها كل صباح إلى أعمالهم
ولا يبقى بها سوى النِّسَاء والأَطْفَال..

اقتـرب الغـروب وكـان الشتـاء أيضـاً يَقْتَـرب . . إنه فـصل الخريف . . عندما تَسْقط أوراق الشـجـر وتملأ الدرُوب بـصَـفَـارها ، وعندمـا تَهُـبُّ الرِّياح اللطيـفـة البـاردة لتـمحي لظى الصَّيْف وشـمـسـه ، ويزداد الليل طولاً ويقل النهـار . . إنه الخـريف بسِـحْـره الأخَّـاذ في هذه القرية الوديعة الهادئة ، التي تحفُّها الحقول من كل جانـب ، كـأنها جـزيرة في بحر مـن اللون الأخـضـر يمتد إلى مـد البَـصَـر لتظـهر في الأُفُق سـلسلة جـبـال تحـيط بالبـصـر فـتـشـرق الشـمس من ورائهـا وتغـرب خلف ضـفتهـا الأخرى . وكـان أهل القـرية يدركون مدى ما هم فيه من جَـمَال وسحر ، خصوصـاً أن رافداً من النهر الكبير يخترق في ثُعْبَانية هذه الجبال المُتَرامية ، وهذه الحـقـول الخـلاّبة وكـأنـه يرسم خطاً يقطع الدائرة من

أعلاها لأسفلها ثم يتجه في سيره إلى قرية أخرى يحتاج الناس لعربات وجياد للسَّفرِ إليها .

وحتى الآن لم يتعرف «مؤمن» على واحدٍ من أهْل القَرية، فالْكُلُّ يتحرَّكُون بسرعة، يؤدون أعمالهم بنشاط وهمة رَغْم نظرات الخَوْفِ التي تملأُ العُيون، ولهذا فلقد استوقف أحدهم وسأله :

- يا سيدي ... ألا يُوجد مكان هنا يصلح للمبيت؟

لم يتكلم الرجل ولكنَّه نظر لمؤمن بارْتياب، ثم أشار بيده نحو ناصية الشارع ، ففهم مؤمن مقصده فشكره، وتوجه ناحية الناصية ليقرأ لافتة « حجرات مجهزة للمبيت » .

طرق الباب فَفَتَحَت له سيِّدة كبيرة السن بوجه مُبْتسم وقالت له :

- لابد أنك غريب عن البلد .. فإنه لا يطرق بابي إلا الغُرباء .. تفضل يا ولدي، وبالداخل قدَّمت له بعض الطعام وسألته :

- هل أنت من بلاد العرب ؟.. إنَّ زيك يُفْصِحُ عن هويتك .

- نعم يا سيدتي .. إنني أجُوب البلاد بحثاً عن الجواهر .

- جَواهر ؟ أيَّة جواهر ؟ ...

أخذ مؤمن يقص على السيدة (ماري) حِكَايَتهُ التي نعرفها كلنا .. فعجبت منه وقالت :

- إنك إذَنْ مُغامر صغير .. مرحى بك في قريتنا ولكني يا ولدي لا أعرف أين تكون هذه الجواهر التي تبحث عنها هنا .

ابْتَسم مُؤْمن وقال :

- ولا أنَا .. ولكنِّي تعوَّدت أن أخوض مغامرتي دفاعاً عن أمر ذي رفعة للدين والخُلُق والمعاملات، ثم يكافئني الله بجوهرة في آخر المُغَامرة.. لذا فأنا أنتظر الخَوْضَ في مُغَامرة جديدة. نظرت السيدة «ماري» إلى مُؤْمن وقالت :

- شئ غريب.. ولكن عليك الآن أن تَعْرِف حُجْرتك.. هيا اصعد معي للدُّور العُلوي.. ستجد حجرة مريحة.. تضع متاعك وترتاح من جَهْد السَّفَر..

نام مؤمن في ساعة مُبَكِّرة ولكنَّه بعد مُنْتَصَف اللَّيْل .. استيقظ على صوت شئ ارْتَطَم بالأرْضِ خارج البيت .. وكان الصوت شديداً .. فقام من فوره وفتح النافذة ثم نظر في الظلام فلم يرى شئاً ! وبروح المُغَامرة وحُبِّ الاسْتِطْلاع ارْتَدَى حذاءه وفتح الباب

وهَرْوَل يهبط السُلَّم فرأى السيدة ماري تقف في الردهة وقد خرجت تواً من حجرتها تحمل سراجَها الزيتي :

- مؤمن !! .. هل حدث لك مكروه ؟ .. أي شئ ارتطم بالأرض ؟ ..

- لا أدرى .. أنا ` ب لأرى الحادثة .

انْتَظِر يا ولدي .. انتظر لابد أنها حيلة من حيل .. من الحيَل فلا تذهب .

- حيلة ؟ ... حيلة من حيل من يا سيدتي ..؟

- لا .. لا شئ ...لا تذهب فقط ..

- أعدك ألا أذهب فقط إذا صارحتيني بما تخفينه عنّي.

-اذهب الآن إلى فراشك وأعِدُك بذلك في الصباح .. فأنا أحتاج للنَوْمِ بِشِدَّة .

أخذ عقل مؤمن يَعْمَل وهو على وسادته .. فأخذ ينسج الخيالات عن الشئ الذي سقط، وعن كَوْن ذلك حيلة.. ما هي الحيلة؟ ومَنْ فعلها؟ وماذا يريد؟ وماذا تقصد ماري بذلك ؟

ورغم ذلك فإن النَّوْم تسلل إلى جفنيه فنام .. وفي الصباح قام فصلَّى الفَريضة وهبط السُلَّم ليجد السيدة ماري قد أعدت له الإفطار، ففرح بهذه الخدمة الجيدة وشكرها وأخذ يبادلها الحديث أثناء تناول الإفطار .

- لقد وعدتِيني بأن تصارحيني يا سيدتي بكُنة حادث الليلة .. ها .. ماذا عندك ؟

- لم أكن أريد إقْحام سائح يزور بلدتنا في مشاكلها المُتْعبة.. ولكنك فيما يبدو مصمم على أن تعرف.

- آه.. هكذا بدأت أشعر أنني على أعتاب مغامرة جديدة.. احكي يا سيدتي فأنا متشوقٌ لسماع أخبار

قريتكم الصغيرة.

- كنا نعيش في هدوء حتى زمن قريب .. ولكن فَجْأة بدأت بعض الظواهر الغريبة تحدث .. عندما ينتصف الليل لا يستطيع أى مِنْ الناس التَجَوُّل في طُرقات القرية مهما كانت الأسباب وإن كان لابد من ذلك فيخرج عدد كبير من الرجال مُسَلَّحين .

- لماذا ؟ ... ألهذا الحد ؟! .

- نعم يا مؤمن .. ولكن لا أحد حتى الآن استطاع أن يتعرف على مرتكب هذه الجرائم الفظيعة .

- أيةُجرائم يا سيدتي ؟

- شئ غريب يا ولدي .. لقد راح ما يزيد عن سبع ضحايا .. بطريقة غريبة .. لا أستطيع يا ولدي أن أصف لك .. إنه شئ مُرَوِّعُ فظيع .

- رويدك يا سيدتي .. على رسلك .. أنا لم أفهم أي شئ حتى الآن .

- معْذرة يامُؤْمن .. فأنا أشْعُر بالخوف .

- آه .. هذا هو الخوف الذي رأيته في عيون أهل القرية بالأمس .

- نعم يا ولدي .. الكل أصبح يخاف أن يكون هو أو أحد من أهله الضحيَّة المقبلة .

- إذن يا سيدتي .. ما هو نوع الجريمة ؟

- عندما تحدث جريمة .. يعثر الناس في الصباح على جثة أحد أهالي القرية وهي زرقاء باردة جاحظة العينين .. وكل الضحايا تتشابه ظروف قتلهم فالجُثَّة سليمة إلا من جرح صغير فوق الرقبة من الجانب .

- الوريد الكَبير على جانب الرقبة ياسيدتي ؟

نعم يا ولدي ... ولقد تجرأً أحد الرجال فجرح جثة ذات مرة فلم يجد بها نقطة دم واحدة .

- ما هذا .. يا إلهي .. أتقصدين ... ؟

- نعم يا ولدي .. إن القاتل لا يريد من المقتول إلا الدم .. إنَّه مصاص دماء يا ولدي .. آه .. كم ملأ الخوف حياتنا !!

- لابد أن هناك من رأى الفَاعِل .

- لا يا ولدي ... الكل خَائِفٌ .. وأي ظاهرة تحدث بعد منتصف الليل يعدها الناس حيلة من الحيل التي يستدرج بها مصاص الدماء ضحاياه .. أتعرف كيف راحت آخر ضحية ؟ .. إنه المسكين «ألفريد» .. سمع حُصَانه يصهل بشدة .. فلم

يمتثل لتوسُلات زوجته العجوز وخرج من البيت بالليل .. ولم يعد حتى الصباح ، وزوجته أخذت تصرخ بالليل ولكن أحداً لم يجرؤعلى الخروج ... وهكذا وجدوا في الصباح جثة «ألفريد» وبها عضة كبيرة في رقبته أسفرت عن ثقب قد مُصَّ منه الدم مصاً .

- سيدتي إن ما تتحدثين عنه شئٌ خطير .. كيف تسكتون على ذلك ؟ .. لابد أن يتعاون أهل القرية من أجل الإمْسَاك بمصاص الدماء هذا .. أو على الأقل .. على الأقل تحديد شكله والمكان الذي يختبئ فيه

- الكُلُّ مذّعور يا ولدي .. الأمهات تحبِسْنَ الأطفال قبل الغروب ويؤجل الرجال أعمالهم إلى الصباح



ولم تعد هناك مسامرات ولا حوانيت بعد الغروب..

- هل .. هل هناك علاقة مشتركة بين القَتْلى ؟ .. بمعنى هل يختار القاتل ضحاياه من نوعية معينة ؟

- لا أعتقد يا مؤمن .. مرة شاب ومرة طفل ومرة فتاة ومرة امرأة أو رجل عجوز ..

- حالة محيِّرة .. كان الأولى بك ياسيدتي أن تتركيني بالليل كي أواجهه .. المؤمن لا يعرف للخوفطعماً ولا للفزع شكلاً !!

- يبدو أنك مَأْخُوذ بدافع غرور الطفولة وخيالاتها المُنْدفعة.

- لا يا سيدتي .. لا .. إنما أنا لا أخشى إلا الله .. ومعي منه وليٍّ نصير .. أنا مسلم موحّدٌ بالله .. لا

إله إلا الله .. ولا يصيبني إلا ما كتب الله لي ..

- كلامك جدُّ جميل أيها الصبي الشجاع .. ولكن لابد أن دينكم ينهاكم عن أن تلقوا بأنفسكم في الهلاك ثم تقولون إنه أمر الله .

- الحق ما قُلتِ يا سيدتي .. وإنما ديننا أمرنا بالحذر والاحتياط من الأخطار والأخذ بأسباب النجاة قدر الإمكان .. ولكني أتساءل عن الظروف التي أدت إلى ظهور مصاص الدماء هذا .. أين كان قبل أن يأتي إليكم؟ ولماذا اختار هذه القرية بالذات ؟ لذا فأنا أسألك سؤالاً .. أريد أن تقدحي زناد فكرك قبل أن تجيبي عليه، هل تذكرين تحولاً جرى في القرية ظهر بعده مصاص الدماء هذا ؟.. أو حادثة معينة واكَبت ظهوره..؟ تمهلي وأجيبي بعد أن تتذكري.

شردت السيدة ماري وأخذت تفكر وتنظر لسقف البيت ثم تضع إصبعها في فمها ثم تهز رأسها ثم أشارت لمؤمن وقالت فجأة :

- إنك على حق أيها الطفل الذكيُّ .. كيف لم يفكر أحد في ذلك من قبل، لابد أن مصاص الدماء هذا أتى إلينا بسبب .. ولكن ما هو هذا السبب ؟

كاد مؤمن أن يضرب رأسه في المنضدة .. فقد ظن أن السيدة ماري قد عرفت السبب ولكنها عادت تفكر وتفكر ثم تهم بالكلام وتتراجع حتى قالت في النهاية :

- يابني أنا لا أذكر بالتحديد .. ولكن كل ما تحياه القرية لم يتغير منذ فترة طويلة فيماعدا ما طرأ على الناس من تغير بعد الحرب .. حبث قلت

الموارد وشحت بعض الأصناف من الطعام والوقود والملابس .. فأخذ بعض التجار يرفعون الأسعار، وبعضهم يخزن البضائع حتى يرتفع ثمنها والبعض منهم أصبح يغش في تجارته ولكن هذا الأمر لا يذكره كثير من الناس .. إنما كبار السن فقط مثلي هم الذين يذكرون السنوات الماضية عندما كنا نحيا في حب ووئام.. نتسابق من أجل منفعة الآخرين.. كانت البضائع رخيصة ورغم ذلك يكسب التجار ويربحون ربحاً كثيراً .. ويتهافت الناس على مساعدة الفقير حتى تصبح لديه المزرعة والبيت .. ولكن بعد الحرب تغير الناس وهنا قال لها مؤمن :

تغير الناس يا سيدتي .. تغيروا كلهم أليس

كذلك ؟ أصبح الكل سارقاً ..

- بلى يابني .. كل إنسان يحاول بكافة الوسائل أن يحصل على النفع لنفسه فقط .. أصبحت الخدعة شيئاً عادياً مألوفاً لديهم .

- وأصبح الكذب يقال له ذكاء اجتماعياً ولباقة .

- وكأنك يا ولدي تعيش معنا منذ زمن بعيد ..

حقاً .. ولكن هذا الفساد مرجعه لكبار التجار الذين حكموا القرية بأموالهم بعد الحرب .. فأخذوا يمتصون دماء الشعب الفقير .

وهنا هتف مؤمن صائحاً وهو يكاد يقفز على المنضدة :

- ها أنت يا سيدتي، حددتي السبب الذي من أجله أرسل الله مصاص الدماء لقريتكم .

- لماذا ؟

- أنتِ قلتيها يا سيدتي .. قلت أن الكبار قد امتصوا قوت الشعب ودمه وبدلاً من أن يواجه الشعب ما فعله الكبار.. استداروا يمتصون دماء بعضهم البعض وأخذ الكل يسرق ويخدع ويكذب فتحولت القرية إلى مصاصي دماء.. وليس بمستغرب الآن أن يظهر واحد يمتص الدماء من ضحاياه ويتركهم للموت لهذا السبب فقط .. آه.. آه .. لهذا السبب ..

- لأي سبب ياولدي ؟ .. لأي سبب ؟ .. ماذا تريد أن تقول ؟ ...

- أريد أن أقول إنه لهذا السبب عجزت القرية بكل من فيها عن التعرف على هذا القاتل.. هذا الذي

يمص الدم.. أتعــرفين لماذا ؟.. لأنـهم كلهم على شاكلته، ولو بأساليب أخرى يا سيدتي.. لهذا السبب فقط فيما أعتقد .. أصبح مصّ الدماء أمراً مألوفاً للقرية رغم أنهم يحذرون منه .

- لا أعتقد يا ولدي أن هذا سبب ظهور مصاص الدماء بقريتنا..

- بل هو ذلك بداية الحقيقة بل أعتقد أن هناك شيئاً يجمع بين الضحايا.. وأنا على يقين أن كل الضحايا.. فقراء.. وقد يكونوا من المعدومين.

شردت السيدة ماري قليلاً وقالت :

- يا إلهي .. كيف فاتنا هذا الأمر ؟.. إنه كلام صحيح .. نعم ..حقاً حقاً .. إن غالبية

الضحايا.. بل كلهم جميعا من الفقراء المعدمين..
كيف عَرِفْتَ ذلك ؟ .. إنك لصبي غريب .. ماذا
دهاك يا ولدي .. ؟

ابتسم مؤمن وقال لها :

- إن معلوماتي عن مصاص الدماء تثبت لي أنها خرافات وهذه أول مرة في حياتي أتعرض لكونها حقيقة واقعة.. ولكن الأساطير تحكي أن مصاص الدماء لا يقترب من مصاص الدماء الذي يماثله بل يتحرش بالضعيف الذي لا حيلة له .. يتحرش بمن لا يحب ولايقدر على مصّ الدم .

- ماذا يعني كلامك ؟.. هل يعني أن بقية أهل القرية الذين تخطاهم هذا السفاح هم بدورهم مصاصون للدم ؟ ..

- ليس كـذلك بالتـحـديد يا سـيـدتي .. وإنما كـمـا استنتجنا من قبل أن الفساد في الأرض والبغي علي الناس وأكل حقوقهم وغش المعاملات يعتبر مصاً للدم .. فإن أهل القرية ممن يقترفون هذه الآثام .. مـحـصنـون من هذا السـفـاح .. وكل من خـاف وابتعد عن الفسـاد لم يجد له مكاناً لأن الفساد هو السيـد .. لذا تجـدينه فقـيراً يغلق عـلى نفسـه داره ويكتـفي بالحـلال .. فـيكون مع الوقت ضـحـيـة للفـسـاد .. ضـحـيـة لأن يُمتص دمـه فإن لـم يكن بمصاص دماء .. سـيكون بالفاسدين من بقـيـة أهل القرية .

كادت الدموع تفر من عيني «ماريا» العجوز وهي تستمع لكلام مؤمن ولكنه بادرها قائلاً :

- لا تبكي ياسيدتي .. لا تبكي .. فماذا لو تعلمين مدى فداحة الأمر ؟

- ماذا ؟ .. أهناك أفدح مما نحن فيه ؟!

- تذكري جيداً يا سيدتي .. تذكري عدد الضحايا بالتحديد .. أرجوك .

- لقد سمعت أن بعض الناس يقولون أن ضحايا مصاص الدماء .. في وقت معين .. تعود إليهم الحياة من جديد .. لتقوم بدور مصاص الدماء .. إنها لا تموت ياسيدتي كما يقولون .. ولكنها تعيش .. ويظن الناس أن الضحية قد ماتت وإنما هي تعيش فقط على الدم .. تختفي بالنهار وتخرج بالليل تتجول وقد تنبت لها أنياب حادة .. تبحث عن دم جديد فإذا وجدت الضحية

المناسبة .. طرحتها أرضاً ثم انكبت على رقبتها لتعضها .. ثم بشراهة ونهم تشرب الدم الساخن حتى تمتصه تماماً ثم تتركه وتعود لقبرها .. فتدور الدائرة وتصبح الضحية الجديدة هي الأخرى وحشاً سيبحث هو الآخر بالليل عن الدم .

- يا إلهي .. ماذا تقول يا مؤمن ؟ .. هذا يعني أن هناك تسعة من مصاصي الدماء يملأون الشوارع بالليل .. إنه مع مرور الوقت سيزداد عددهم إلى أن يصبح جيشاً من السفاحين المرعبين .

- هو ذلك ما قالته الأساطير .. ولكنه قد يحدث .. فلابد أن نتحرك ونفعل أيَّ شئ قبل أن يستفحل الأمر ....

- وما العمل .. أنا لا أستطيع التفكير .. قل لي ما

العمل يا ولدي ؟!

قام مؤمن ودار حول المائدة ثم وقف خلف «ماري» وهي جالسة وقال لها :

- سيدتي ماري .. لابد أن نعقداجتماعاً .

- اجتماع !!

- نعم .. لابد أن يجتمع كبراء القرية والمسؤلون ونحدد طريقة معينة للإمساك بهذا السفاح .

- سفاح .. أهو سفاح واحد .. لابد أنهم كثيرون يا ولدي كما قلت .

- لا يهم .. المهم هو أن نتعاون جميعاً .

ولم تصبر «ماري» أكثر من ذلك بعدما سمعت كلمات مؤمن .. فهرعت خارجة من البيت لتنادي في كبار القرية حتى يجتمعوا في منزلها قبل حلول

الليل، وبمجهود شاق نجحت في أن تقنع كلاً من عمدة القرية والطبيب والواعظ والتاجر والعامل وصاحبة الخبز ومدرسة الأطفال وجاءوا جميعاً قبل العصر وجلسوا في الصالة وتعرفوا جميعاً بمؤمن ورحبوا به خصوصاً بعدما شرحت لهم السيدة ماري وجهة نظره في الأمور فاقتنعوا بها وأدركوا أن المسألة أبعد من كونها مجرد مصاص للدماء وأنها مسألة تحتاج لعلاج اجتماعي ووعي يبث للناس بوجوب عودة الحب والتسامح والخير ورفض الطمع والجشع والغش والكذب .

وأخذوا يتحاورون ويتناقشون فقال التاجر :

– علينا بصنع سلاح يحمله كل مواطن في القرية حتى يواجه به المصاص الدموي هذا ..

فقال مؤمن :

- بذلك سينتشر الإجرام يا سيدي .. فليس على كل مواطن أن يحمل السلاح لأن هناك بالتأكيد من سيسئ استعماله.

فقال العامل :

- إذن .. هي مسئولية عمدة القرية .. لأنه الوحيد الذي يمتلك البنادق والأسلحة بحرية .

فقال العمدة :

- وهل سأواجه الأمر وحدي ؟.. إن لديَّ حارسين فقط .. وكما تقولون إنه من المحتمل أن يزيد عدد مصاصي الدماء في القرية، كيف أواجههم بحارسين؟..

فقالت صاحبة المخبز :

- علينا بعمل فخ محكم وكل يوم سنتمكن من اصطياد واحد من مصاصي الدماء .

وهنا قال مؤمن :

- فكرة جديرة بالاحترام يا سيدتي .. ولكن ما نوع الفخ الذي سنصنعه ؟.. لا تنسي أن مصاصي الدماء على درجة عالية من الذكاء .

فصاح العامل قائلاً :

- كيف تفكرون هكذا ؟ .. ربما يقع أحد الغافلين أو أحد الأطفال في هذا الفخ دون أن يدري ؟.. ثم.. نحن لا نعرف شكل مصاص الدماء ..

فقالت السيدة ماري :

- كلام منطقي .. لابد أولاً أن نحدد شكله .. ثم نعرف أين يكون مخبأه ..

فقالت «المدرسة» :

- أنا مع السيدة ماري .. علينا أن نعرف أين يختبئ مصاص الدماء هذا وعلينابعدذلك أن نواجهه ونهاجمه في مكمنه ونبادره بالقضاء عليه .. نجمع أهل القرية كلهم ثم ندمر مكانه تماماً .

فقال «مؤمن» :

- وهذا أيضاً كلام سليم .. ولكن كيف سنراقبه؟.. وكم سيلتهم من الدماء قبل أن نعثر عليه؟ ..

فقال العمدة :

- أدركت ما تقصد يا مؤمن .. إنك تعني بالفخ ونوعه، أنه لابد من استدراج مصاص الدماء إلى حتفه بواسطة شخص ما .. أليس كذلك ؟!.

فقال مؤمن وهو يقوم ويتمشى أمامهم في الردهة :

- هذا بعينه ماكنت أقصد يا سيدي .. واحد منا ..
يكون على قدر كبير من الشجاعة وحسن
التصرف سيخرج وحده بالليل ويواجه مصاص
الدماء ثم يستدرجه ليدخل هذا البيت وساعتها
ننقض عليه كلنا ثم نحطم عظامه تحطيماً ..

ساد صمت مهيب بعد كلمات مؤمن، وشرد كل
واحد ينظر للوحة معلقة على الحائط وكأن على
رؤوسهم الطير .. وأخذ كل منهم يفكر فيمن سيقدر
على هذا العمل البطولي.

فقالت السيدة «ماري» التي تستضيف الجميع
قاطعة حبل الصمت :

- ها .. ماذا قلتم فيما قاله الغلام ؟ .. أراكم أطلقتم
التفكير ..

فقال الطبيب :

- يبدو أنه لا حل غير ذلك يا سيدتي .. ولكن من هو الذي يجرؤ على الخروج الآن ..؟

وفجأة انتفض الجميع بعد أن أنهى الطبيب عبارته، لقد أيقظهم عندما نظروا من النافذة وأصبح الكل يدرك أن الليل قد أرخى ستائره، وهم في غفلة الحوار، وأيقن الجميع أن الخروج والعودة للبيوت مستحيل حتى يعود الصبح وتشرق الشمس ..

فقال «مؤمن» :

- يبدو أن السيدة «ماري» ستستضيفكم حتى الصباح يا سادة .. أليس كذلك ؟.. وأظن أن ذلك مدعاة لأن نبدأ العمل من الليلة ..

أخذوا يسترقون النظرات من بعضهم .. فقال

«العمدة» :

- لو كان معي الحراس الآن لأرسلت أحدهم .. لكني مع الأسف .. كما ترون وزني ثقيل وحركتي محدودة .. لا .. لا أقدر على ذلك .

وقال «التاجر» :

- ذهني مشغول بتجارتي وأموالي ورأسي مشحون بالحسابات وأخشى أن يمنعني ذلك من حسن التصرف أمام السفاح الدموي ..

وقال «العامل» :

- لو كان بي قوة بعد المجهود الشاق الذي بذلته طيلة النهار لتمكنت من الخروج ولكني الأن حقاً في حاجة للنوم والراحة

وقال «الطبيب» :



- في الحقيقة أنني أكبركم سناً وعظامي لا تقوى على الجري والقفز والمراوغة .. عذراً .

وقالت «ماري» :

- ولا أعتقد أن الرجال يجلسون هنا .. وأخرج أنا أو صاحبة الخبز أو المدرسة الشابة إلى مغامرة كهذه .

فنظروا جميعاً بعد ذلك إلى «مؤمن» وقبل أن يرشحوه لهذا العمل الخطير قال لهم :

- لا عليكم .. فسأقوم بهذه المهمة بإذن الله تعالى .. فأنا مؤمن المسلم الموحد بالله لا أخشى إلا الله وواجبي يحتم عليّ أن أجاهد في سبيل الله وأقاوم أي شئ فيه خطر على الإنسانية .

فقال «العمدة» :

- عمل عظيم يا ولدي .. ولو أنك لست من أهل

القـريـة .. ولكنـي أعـد بـأن أمنحك شـرف الدفـاع عنهـا وأمنحك بعـد أن تـنجـح في مـهـمـتك وسـام أشجع مقاتل في تاريخ القرية .

ابتسم «مؤمن» وقال :

- سـيـدي العـمـدة .. أيهـا السـادة الكرام من أهالي القـريـة .. إن مـا سـأقوم بـه من عـمل لن يقل شـرفـا وجهداً عن دوركم وعـملكم .. أنسيتم .. أنه عليَّ استـدراج مصـاص الدمـاء إلى البـيت ونحن جـمـيعـاً بعد ذلك سننقض عليه .. ونقتله ..؟

وهنا صاح «العمدة» :

- آه آه .. نعـم كلنا سـنتكـاتف ونتكـتل علـيـه ألـيس كذلك ؟!

فـغـمـغـمـوا جـمـيـعـاً وتمـتـمـوا ثم قـالوا في صـوت

متواتر:

- نعم .. نعم .. نعم .. بالتأكيد ..

أحضرت السيدة «ماري» كوباً من عصير المانجو لمؤمن وأخذوا جميعاً يسلمون عليه وبعضهم يودعه في نفسه ظناً منه أنه لن يعود .. وأخذ مؤمن يثبت سيفه في غمده ويحكم رباط الحذاء .. ثم شرب العصير وحمد الله، وتقدم نحو الباب، وفتحه ليستقبل بصدره الظلام الحالك المخيف، ولما نظر خلفه ليلقي نظرة على الحاضرين : وجدهم يهرعون إلى الحجرات خوفاً من دخول مصاص الدماء عند فتح الباب، فابتسم ثم قال في نبرة واثقة :

- بسم الله توكلت على الله ولا حول ولاقوة إلا بالله.. اللهم إني أعوذ بك أن أَزِل أو أُزَل أو أضِل أو

أُضَل أو أجْهَلَ أو يُجهل عليَّ أو أظلِم أو أُظلَم إنك نعم المولى ونعم النصير .. اللهم أدخلني مدخل صدقٍ وأخرجني مُخرج صدق وأنزِلني منزلاً مباركاً واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً .. توكلت على الحي الذي لا يموت .. بسم الله] .

خرج مؤمن وأغلق الباب وراءه، فعادوا جميعاً يتأكدون من إحكام غلق الباب، فلما أحسوا بالأمان تنهَّدوا وتنفسوا الصعداء، وعادوا يجلسون في الردهة .

فقال «العامل» :

- ماذا علينا أن نفعل الآن؟ هل نجلس هكذا حتى الصباح؟..

فقالت «صاحبة المخبز» :

- إن الخبز يحتاجني في الصباح الباكر .. لذا لابد لي من قسط من النوم .

وقال «الفلاح» :

- الحقل أيضاً ينتظرمني عملاً شاقاً في الفجر .. لذا فما تقولون في بعض الراحة فقالت «المدرسة» وقد ضاق ذرعها بما قالوه :

- ويحكُم .. أبعد أن خرج الغلام الغريب من أجلنا .. نتركه يواجه الخطر وحده .. ثم نأوي إلى الفراش ..؟ الأجدر بنا .. وأضعف الإيمان .. أن نشاركه بقلوبنا .. ما رأيك يا عمدة القرية ؟

فقال «العمدة» وهو يتململ في مكانه :

- كلامك صحيح يا مدرسة القرية .. ولكن يجب أن نحكم العقل وندع العواطف جانباً .. بلا شك أن

الحياة لن تتوقف .. ولابد أن نمارسها ونحن على قدر من القوة .. لذا فالحل الوسط أن يستيقظ أحدنا وينام الباقون .. قبل أن نستهم على ذلك .. فأنا الأحق بشرف الحراسة بالليل .. كما أنني أجدر من يقوم بدور الدفاع عنكم ..

قاموا جميعاً يشكرون العمدة .. وقالت المدرسة للسيدة ماري :

- يبدو أن العمدة نسى وزنه الثقيل .. أنا لا أطمئن أنه يستطيع مراوغة شيخ هَرِم يريد به شراً ..

- لا عليك يا فتاتي .. ما دام يحمل سيفاً فلا شك أنه يحسن استخدامه أفضل من أي واحد فينا .. إنه وإن كان بديناً .. إلا أنه كان يوماً ما أفضل من يبارز بالسيف في المدينة كلها .

ذهب كل واحد من المجموعة إلى غرفة منفصلة ما عدا المدرسة وصانعة الخبز .. فقد أخذتا غرفة مشتركة وعادت ماري إلى حجرتها .. وبقى العمدة في الردهة جالساً على مقعده .. ويده على سلاحه، ثم أخذ ينظر حوله إلى الأشياء المتناثرة على جدران الردهة .. ثم إلى السلم المؤدي إلى غرف النزلاء .. ثم إلى النافذة الكبيرة التي تحجبها غلالة رقيقة .. وشعر بالرغبة في النوم . فقام متثاقلاً إلى باب البيت وتأكد من إحكام غلقه وبينما هو عائد نظر تحت السلم الخشبي إلي مدخل البدروم فاقترب منه فلفحه هواء بارد يأتي من أسفل .. كان البدروم مظلماً فخشى أن ينزل إليه وقال في نفسه والخوف يتمكن منه :

- مــا هـذا .. ريح بـاردة تأتـي من البــدروم ..؟.. لا شك أن نافذة من نوافذ البـدروم مفتـوحة .. كـيف غـفـلت «ماري» عن ذلك ؟.. ما العـمل الآن.. إنه شــديد الظـلام فـلا أسـتطـيع أن أنزل.. هـل أوقظ «مـاري» ؟.. هي أدرى بدارها .. ولكن أليس ذلك من إثبـات جبـني لهـا؟ مـاذا سـتقـول حـينئـذ؟.. «العـمـدة» يخشى أن يهـبط إلى البـدروم وحـده ... إذن مـاذا عـسـاى أن أفـعل .؟ يا إلهي .. ألف لعنة على الشــيطان .. مــا شــأني أنا وهـذه المواقـف المرعـبـة..؟ آه .. فـلأحـضـر شئ ثقـيـلاً لأسـد به الفتحة دون حاجة للنزول ..

أخـذ «العـمـدة» يبـحث عن شئ يسـد به الفـتـحـة المؤدية إلى سلم البدروم .. فلم يجد .. وأخذته الحيرة

مرة أخرى .. وفجأة أخذته رعدة ورعشة وتصبب العرق من جبهته وقد أرهف السمع .. إذ أن صوتاً يأتي من جوف البدروم يقترب ويزداد.

وفي تلك الأثناء كان مؤمن يسير في شوارع القرية وحيداً والليل في أوله دون أن يلمح أى شئ يذكر .. فتعجب من ذلك .. وكان يظن أنه بمجرد نزوله إلى الشارع سيجد مصاص الدماء أمامه ورغم شعوره ببعض الخوف إلا أن سابق خبراته المليئة بالمغامرات جعله رابط الجأش .. ابتسم عندما حاول الخوف أن يتمكن منه وقال في نفسه :

- «ياه.. الخوف يريد أن ينال مني.. ماذا بك يا مؤمن..؟ أنسيت الكهف المسحور والمخلوقات الغريبة التي كادت أن تفتك بك هناك ؟ .. هل

نسيت المارد الذي حاول أن يمنعك من الوصول للبحر السابع ؟ والنمر الذي كاد يفتك بك في حلبة المصارعة لدى البركان الأحمر ؟ .. آه .. كان موقفاً صعباً .. وماذا أيضاً يا مؤمن ؟ .. آه .. وأشرار المدينة المتحجرة ذوي السيف والسكاكين والوجوه المرعبة والثعبان العملاق الذي كان في طريقي لاكتشاف البريق الغامض وتمساح الأدغال المتوحشة .. ياه .. وآكلو لحوم البشر هناك والأفيال .. آه .. يا ربي مغامرات رهيبة .. عجيبة .. وميناء المذبح وغموض البحارة المقطوعين الرءوس .. والهلاك الذي رأيته بعيني في الصقيع المظلم .. والرعب الذي عشته في مملكة الموتى لاكتشاف الكنز .. والموت الذي ذقت هجمته،

وصراع الأسود، وقبائل الطوارق، وغدر الصحراء في الرمال الملتهبة.. أكُل هذا يا مؤمن؟.. وتخاف من مصاص دماء لا سلاح له غير أنيابه الحادة؟ .

كاد مؤمن أن يمل من كثرة التوجس والبحث في شوارع القرية، يثير أعصابه كلب يجري أو قطة تقفز، وكاد أن يقرر الرجوع مرة أخرى إلى منزل السيدة «ماري» لولا أن واتته فكرة مفاجئة .

* * *

وبينمــا كــان رواد منزل «مــاري» يغطون فـي نوم عـميق إذ تنبـهت المدرسة على صـوت ارتـطام جـسم بالأرض فهبت من الفراش وجـرت نحو فـراش صاحبة الخبز وأخذت توقظها :

- سـيدتي .. سـيدتي .. قُـومِي أرجـوك .. هناك شئ غريب .

- مـاذا ؟.. ماذا تقـولين ؟.. أليس العـمـدة جالسـاً في ردهة المنزل السـفليـة ؟.. أنا لا أسـمع أى شئ .. نامي يا عـزيزتـي .. نامي ولا تدعي الأوهام تـنغص ليلتنا ..

- أرجـوك سـيدتي .. أرجـوك .. لقـد سـمعت صـوت ارتطام شئ بالأرض .. لابد أن نتحقق من الأمر .

- إذن لا تنزلي .. ولكن إفتحي باب الحـجـرة ونادي

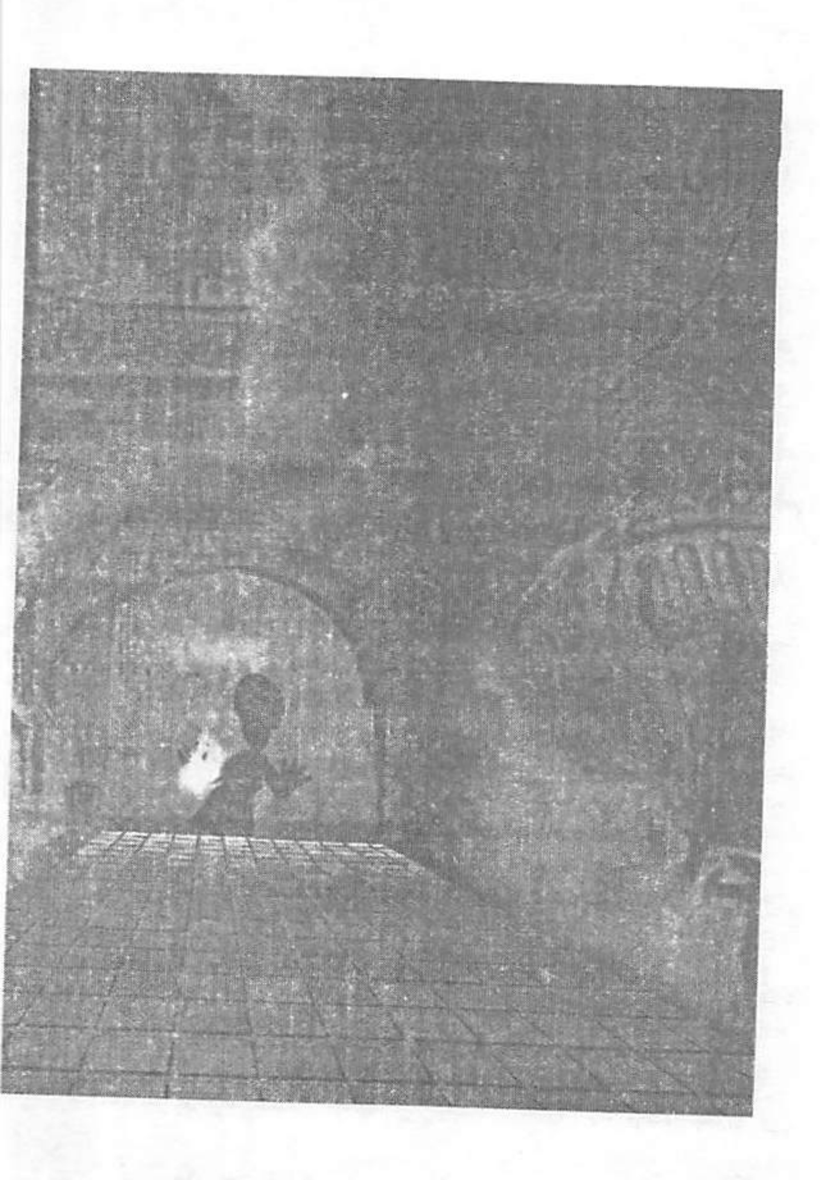
على العمدة .. فإن كان الأمر على ما يرام فسيرد عليك .

كان باب الحجرة مرتفعاً عن الأرض بمسافة شبر ، وضوء الممر الخارجي يضيء جزءاً من الحجرة أسفل الباب فلما همت الفتاة أن تتجه للباب لاحظت أن هناك شخصاً يمر في الممر ، لأن ظله كان واضحاً أثناء تحركه على الجزء المضيء في أرضية الحجرة ، وعلى الفور تراجعت الفتاة للخلف مذعورة ، وجرت نحو السيدة وألقت نفسها في حضنها ..

- ماذا بك يا حبيبتي ؟ .. هكذا أنتِ تخيفيني ..

- هناك شبح إنسان يمشي في الممر بحركة بطيئة .. لقد رأيت ظله تحت الباب قبل أن أفتح .

- ماذا تقولين ؟ .. يا إلهي .. ماذا يعني ذلك ؟ .. أنا



أشعر بالخوف يشل حركتي .

- ماذا نفعل الآن يا سيدتي ؟ .. أنا سأذوب من الرعب .. ترى من يكون هذا الذي ؟.. أنصتي ..

- ما هذا ؟ .. إنه صوت باب حجرة من حجرات الممر ..

- هل تعتقدين يا سيدتي .. ؟

- لا تسيئي الظن ودعي التشاؤم قليلاً .. لابد أن أحد الرجال قام إلى دورة المياه ثم عاد إلى حجرته .

- هل تظنين ذلك ؟

- ماذا سيكون إذن ؟ .. هو بلا شك كذلك

- إذن .. إذن لماذا لم نسمع صوت الباب وهو يغلق؟ .. إننا سمعنا فقط صوت فتحه .. هل يعقل أن يترك بابه مفتوحاً كل هذا الوقت ؟

- فتاتي .. لابد أن نستدعي العمدة .. لابد أن ننادي عليه.

تماسكت الفتاة الشابة بعض الشئ ثم اتجهت نحو الباب، ونظرت إلى مقبض الباب ملياً .. ثم مسكته وأدارته ببطء ثم بسرعة وفُتِحَ الباب فلم تنظر في الممر ولكنها نادت بأقصى صوتها :

- أيها العمدة.. نريدك أن تصعد لنا الآن .. أيها العمدة .. اصعد بسرعة .

وأغلقت الباب وساد صمتٌ مهيب وهي ملتصقة بصاحبة الخبز على الفراش كل منهما شاخصة ببصرها نحو الباب في انتظار دخول العمدة ... ومر وقت طويل ولم يأت العمدة وفجأة .

- ما هذا .. إنه صوت أحدهم يمشي في الممر ..

انصتي .. حجرة أخرى تنفتح .

- يا إلهي .. يا إلهي .. لماذا يا سـيـدتي لا يكون مصاص الدماء هو الذي فتح الحجرات ؟ ..

- آه .. لا .. لا .. أرجوك يا فتاتي .. أرجوك .. لا أحتمل مزيداً من الخوف .. إن قلبي يكاد يتوقف .

- لابد من عمل أي شئ .. لا يفيد الجلوس والرعشة هكذا.

- حقاً .. ماذا لو كان هو مصاص الدماء ؟.. ما العمل ؟.. لقد فقدت القدرة على التفكير .

- لابد أن نتحرك ونفعل أي شئ .. قبل أن يداهمنا ونحن جلوس هكذا .

- لماذا ؟.. لماذا لا يكون أحد الرجال يسير وهو نائم مثلاً؟ أو أنه العمدة ؟ ..

- ليس هذا وقت التخمينات يا عزيزتي .. لابد أن نخرج من هنا فوراً :

- نخرج؟!!.. كيف؟.. لا.. لا أستطيع أن أخرج... لابد أننا سنجد السفاح أمامنا .

- سيدتي .. لست مستعدة لفقد حياتي وأنا قابعة هنا .. اسمعي أنا سأخرج وليكن ما يكون ..

* * *

وفي هذه الآونة كان «مؤمن» قد توصل لفكرة أخرى .. إذ أدرك أن عليه الذهاب إلى مقابر القرية وكان في الطريق إليها يقول في نفسه :

- لماذا لم تواتيني هذه الفكرة من قبل ؟ .. لقد قالت الأساطير قديماً أن مصاص الدماء يكون جثة في قبر وتحت ظروف معينة ينهض من لحده ثم .. ثم .. آه .. ما هذا .. إنها المقابر في مواجهتي .. موحشة كم هي مقابرهم .. فلأتقدم وليكن ما يكون .

تقدم مؤمن نحو المقابر، وهو يتلفت يمنة ويساراً، ثم توغل أكثر فأكثر قائلاً وهو يحدث نفسه :

- يا إلهي .. ماذا عساي أن أفعل الآن ؟ .. لقد أصبحت أمقت صوت الصراصير والبوم والغربان .. ماذا قالت الأساطير يا مؤمن ؟ .. آه .. قالت أن الذي يموت مقتولاً بأنياب مصاص الدماء يتحول إلى .. يا إلهي .. يا إلهي .. ما هذا ؟!! ..

* * *



قررت المدرسة أن تغادر الحجرة بأي شكل رغم محاولات صاحبة الخبز أن تثنيها .. فقالت لها :

- اسمعي سيدتي .. لو كان العمدة باقياً في مكانه لأجابنا عندما ناديت عليه .. إنه ليس هناك .. فمن إذن الذي فتح الحجرة الأولى ولم يغلقها ؟ .. ومن الذي فتح الحجرة الثانية ولم يغلقها أيضاً؟.. أننتظر أن تفتح حجرتنا ثم لا تغلق هي الأخرى؟..

- لا .. لا .. سأخرج معك .. ولكن أين سنذهب ؟

- نخرج يا سيدتي وننزل إلى حجرة «ماري» العجوز في الدور السفلى .. هي صاحبة البيت والمسئولة عن سلامتنا ..

- إذن .. فلنسرع ..

فتحت المدرسة باب الحجرة .. كان الممر مضيئاً

ولكن ضوء الحجرة المفتوحة كان يندفع قوياً من مدخلها ليسقط على الحائط المواجه .. فلما أصبحت المدرسة وصاحبة المخبز في الممر شاهدتا شبح إنسان ينعكس على الحائط.. تسمرت المرأتان ولم تتحركا.. وخيال الظل يكبر على الحائط .. كان فيما يبدو منحنياً على شئ ثم قام رويداً رويدا، فبدا ظل وجهه من الجانب وله نابان بارزان يتقطر منهما السائل فأدركتا على الفور .. أن مصاص الدماء يزور منزل السيدة «ماري». وعلى الفور ندت عن صاحبة المخبز صرخة ولكن الفتاة كانت أسرع في وضع يدها على فم السيدة .. وهمست لها :

- هل جننت ؟!.. لا تتفوهي بكلمة .. هيا .. أسرعي نهبط السلم .

وفي هذه الأثناء كان «مؤمن» في ذهول .. إذ أن إحدى المقابر كانت مفتوحة .. وكانت الثانية على وشك هي الأخرى .. وبروح المغامرة وقدرته على سرعة التصرف الحسن في المواقف الحرجة جرى إلى حجر كبير وأخذ يدحرجه حتى استطاع أن يحكم غطاء المقبرة دون أن يفلح ما بداخله على الخروج .. وفجأة وجد أن مقبرة أخرى أيضاً ستنفتح ففعل مثل ما فعل فى الأولى وهكذا فقد صدق ظنه إذ أن مجموعة من مصاصي الدماء كالبعوض كانت مختبئةفي هذه القبور وفي طريقها للزحف نحو القرية تلتقط أي إنسان يسير في الشارع .. وكان عليه أن يحول دون خروج هذه المخلوقات الخطرة إلى الناس .. فأخذ يجري هنا وهناك ويلهث ويرفع

الأحجار وقطع الرخام الثقيل.. حتى اطمئن إلى أن الخطر قد زال ووقف يمسح عرقه ويقول في نفسه :

-« سيبقى الخطر قائماً طالما صاحب أول مقبرة ليس فيها.. ترى أين ذهب هذا الوحش ؟.. آه .. لو تمكنا من قتله .. فلن يصبح هناك أي خطر من هؤلاء لأنهم تلقائياً سيموتون مثله .. إنه القوة المحركة لهم .. وهم على ما يبدو أتباعه وجنوده ».

وعلى ما يبدو أن مصاص الدماء الأخير هذا كان يتلذذ بفرائسه في منزل السيدة ماري .. فها هو قد فرغ من دم العمدة عندما هبطت صاحبة المخبز والمدرسة إلى الردهة السفلية حيث وجدنا جثة العمدة ملقاة على الأرض وملابسه في حالة تمزق ويظهر جرح غائر في جانب رقبته، وكانت السيدة ماري

تقف أمامه ووجهها مصفر اللون، وصوتها قد احتُبس من الرعب، ما إن رأت المرأتان ذلك حتى أجهشتا فى البكاء .. فاحتضنتها المدرسة.. وجلسن ثلاثتهن في نهاية الردهة .. لا يدرين ماذا يكون العمل ... وفجأة انتفضت المدرسة وقالت :

- إنه فوق .. في الدور العلوي .. مالنا نجلس هكذا؟.. هيا نغادر المنزل فوراً .

- انتظري يا بنيتي .. هل نسيتي أن هناك مثله الكثير خارج المنزل ؟ ..

- إذن لابد أن نختبئ هنا في أي مكان آمن .. فلندخل المطبخ .

- نعم نعم .. هو أأمن مكان .. وله باب على الشارع.. هيا فلنسرع .

وفي الدور العلوي كانت غرفة العامل مفتوحة وبها جثته، وغرفة الطبيب مفتوحة وبها أيضاً جثته.. وكان خيال الظل الملعون يقترب من باب غرفة الفلاح.. وامتدت يد مصاص الدماء إلى مقبض الباب.

وفي هذه الأثناء .. أدركت المدرسة أن السفاح مصاص الدم يمارس جريمته وأن هناك بعض الرجال نيام ولابد من تنبيههم .. فقالت :

- لابد من تنبيه الرجال في الدور العلوي ... لا يعقل أن نختبئ ونتركهم فريسة سهلة .

- لا .. إياك أن تفعلي أي شئ .. إياك.. نحن محاصرون .. محاصرون .. إياك ..

- ولكن .. إلى متى الانتظار هنا إذن .

- حتى يطلع الفجر .. لقد اقترب وسنصبح في أمان .. أنا سأبيع هذا البيت .. سأبيعه وأغادر هذه القرية .. سأرحل .. سأرحل إلى أي مكان آخر .

- أنا لا أقدر .

- وأنا .. وأنا متنازلة لأهل القرية عن المخبز .. ليت الفجر يطلع ولن أمكث دقيقة واحدة في هذه القرية .. لقد حلت عليها اللعنة .

وفي الدور العلوي فُتح باب غرفة الفلاح النائم .. واقترب منه مصاص الدماء .. كان وجهه مستطيلاً وله شعر أسود ناعم ينسدل على عينيه التي تشبهان عيني الثعبان ،وأنفه أفطس لا يكاد يَبين، أما الفم فواسع مفتوح مفغور، والأنياب تلمع كالفضة .. كان يتقدم من فراش الرجل النائم وهو يترنح ورأسه يميل

جهة اليسار حتى أصبح أمام الفراش، جثا على ركبتيه.. واقترب بأنيابه من رقبة الرجل ورفع يديه لأعلى فبدت أظافره طويلة مقوسة، ثم بقوة عتيقة قبض على رأس الرجل وقبل أن يستغيث كانت الأنياب تنغرس في الرقبة لتشل الحركة وتعدم الحياة.

وقبل أن يندفع الدم إلى الفراش كان يجد طريقه إلى جوف السفاح وهو يمصه مصاً بشراهة عجيبة. بينما أخذ جسد الفلاح ينتفض كالدجاجة المذبوحة.. ثم ما لبث أن خمدت حركاته تماماً.

لم يكن الشتاء قد أتى بعد ورغم ذلك فهذه النوة أتت مبكرة لتحيل الليل إلى ساحة للصراع بين صخب الرعد وبريق الصواعق البارقة وكانت السماء تمطر بغزارة شديدة.. أما مؤمن فهو يجري بأقصى

سرعة .. فقد شعر بالقلق الشديد على المجتمعين في بيت ماري خوفاً من أن ينال مصاص الدماء مأربه منهم.. وفي الحقيقة أنه لم يبق سوى الواعظ والتاجر والنساء الثلاث.. وكان الوحش يبحث عن ضحيته التالية «الواعظ» .. وكانت أمامه مشكلة إذ أن الواعظ رجل دين، لذا فهو دائماً يأخذ بالأسباب ولا يترك نفسه عرضة للأخطار دون أن يأخذ بأسباب الأمان .. لذا فقد أحكم مزلاج الباب من الداخل، ووجد مصاص الدماء صعوبة بالغة في فتح باب الغرفة ولم يشأ محاولة كسر الباب .. لأنه يريد الضحية نائمة دون أن يزعج النائمين فيخرجوا وراءه .. لذا فلقد ترك الواعظ وشم رائحة النساء في المطبخ .. فنزل بمنتهى البطء إلى الدور السفلي .. وسمع

صوت مؤمن وهو يُخَبِطُ على الباب وينادي :

- سيدتي ماري .. سيدي العمدة .. ألا من أحد يجيبني ؟

جرى مصاص الدماء مرة أخرى إلى الغرفة المنعزلة في برج المنزل - وكانت هي حجرة التاجر الذي كان يغط في نومٍ عميق وله شخير مزعج - فأدار مقبض الباب ودخل ثم أغلقه خلفه وبسرعة فتحت المدرسة باب المطبخ الخلفي المطل على الشارع ونادت على مؤمن :

- نحن هنا يا مؤمن ... أين أنت ؟ .. يا مؤمن تعال من الباب الخلفي ..

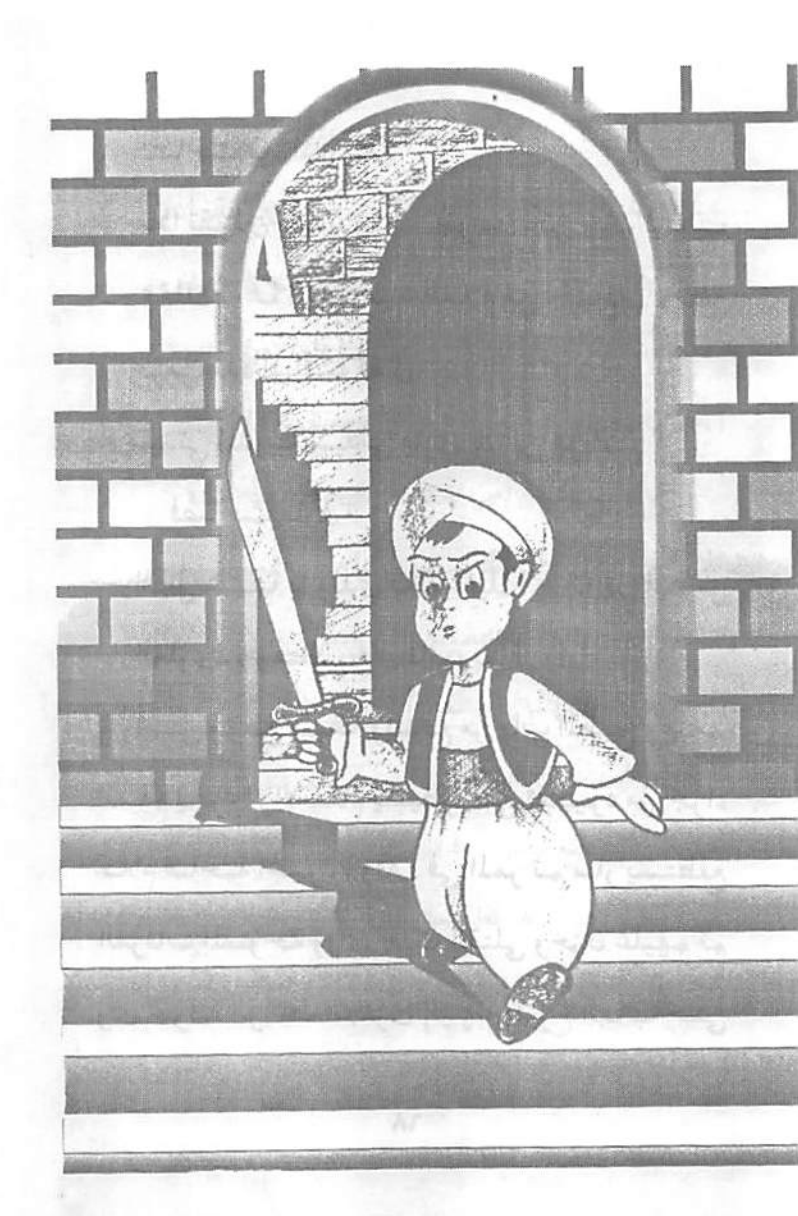
دار مؤمن يجري بسرعة ثم دخل عليهم وأغلق الباب فقالت السيدة ماري :

- أين كنت ؟.. أين كنت يا ولدي؟.. إن مصاص الدماء هنا في بيتي.. لقد حوله إلى مذبحة شنيعة.. أدركْنَا .

- لا حول ولا قوة إلا بالله ... سيدتي ... لقد ذهبت إلى المقابر ومنعت بقية المصاصين من الخروج إلى القرية .. وأدركت أن زعيمهم هنا .

وهنا صاحت «صاحبة المخبز» :

- أنت أيها الغلام عديم الفائدة .. أنت تتعاون مع السفاح.. أليس هذا الغلام يا «ماري» الذي اقترح أن نجتمع هنا في بيتك؟ .. وهو على اتفاق مع السفاح لينال منا جميعاً ؟ .. أرأيت عندما خرج وأوهمنا بتتبع أثر السفاح الدموي ؟ .. وها هو يعود سالماً .. إنك خائن أيها الغلام الغريب



فصاحت بها المدرسة :

- ماذا تقولين سيدتي ؟.. الخوف تمكن منكِ فأذهب عقلك.. ما الذي يفيد الغلام من الخيانة ؟ وقطع مؤمن هذه المناقشة فقال :

- سيدتي المدرسة سيدتي ماري .. أين هو الآن ؟ ..

فصاحت ماري :

- افعل شيئاً يا ولدي بالله عليك .. إنه في الطابق العلوي.. وهناك رجال نائمون .

استل مؤمن سيفه واندفع من باب المطبخ وصعد السلم يجري والانتقام يسيطر على تفكيره من جراء كلام صاحبة المخبز، ووقف في الممر ثم سار يستطلع الغرفات المفتوحة ورأى جثث القتلى وحزن عليهم ثم رأى غرفة الواعظ فجرى إليها يقرع الباب حتى

استيقظ الواعظ وفتح له الباب .

- مؤمن ؟.. ماذا جرى يا ولدي ؟ ..

- أسرع معي يا سيدي .. أسرع فالسفاح الدموي في البيت .

وعلى الفور هرع الواعظ وخرج من الحجرة وأشار إليه مؤمن أن يهبط إلى المطبخ ففعل، أما «التاجر» فكان يصرخ بفزع عندما ضغط السفاح على رأسه بيده وهمَّ أن يغرس نابه في رقبته فسمع مؤمن صرخة الرجل فاندفع يجري بطول الممر وصعد الدرجات الثلاث المؤدية إلى البرج حيث كانت حجرة التاجر، ووجد الباب مفتوحاً فقفز داخلها ، فإذا بالتاجر يصرخ من الرعب ونظر مؤمن حوله فلم يجد أثراً للسفاح :

- مؤمن ولدي .. الحمد لله لقد سمع أقدامك وأنت تجري إليَّ فقفز من النافذة .

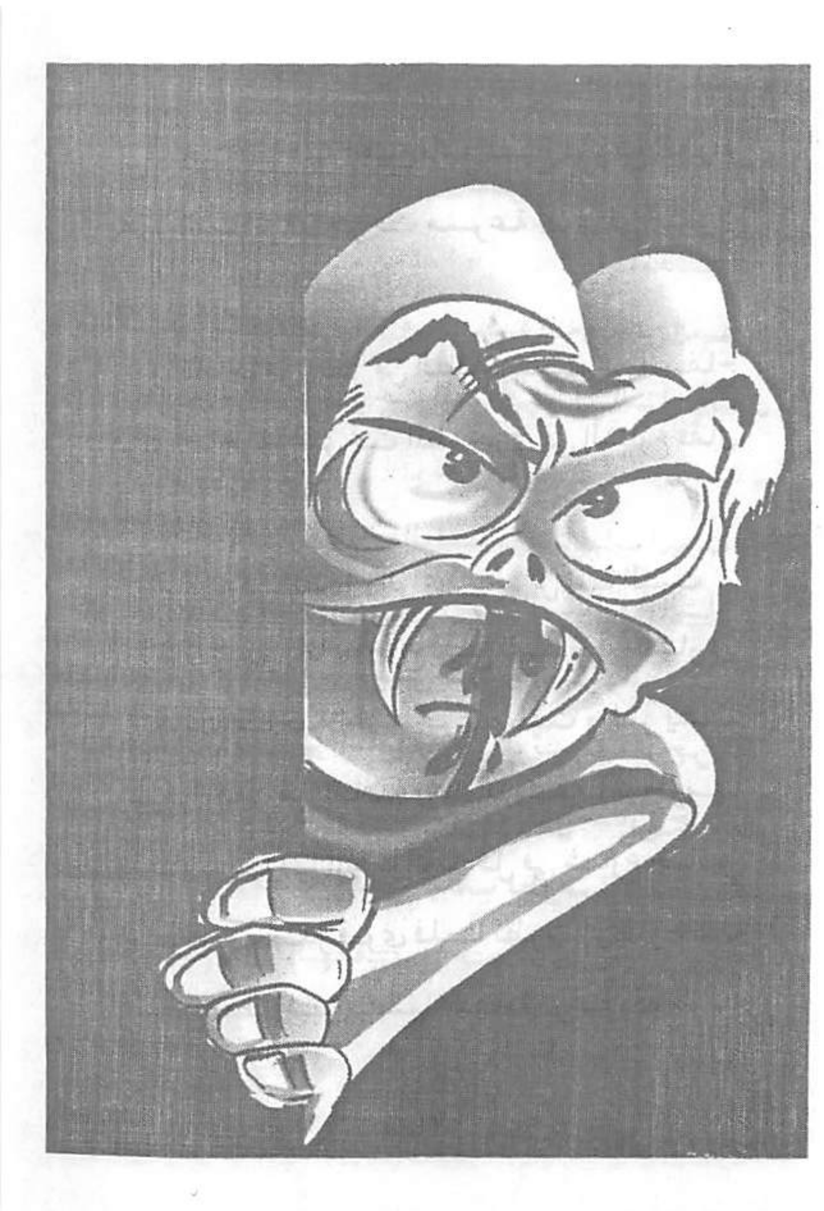
- من النافذة ؟ .. لقد عاد للشارع مرة أخرى ؟ .. لابد أن أمزقه ..

وفي هذه الأثناء كانت ماري والمدرسة وصاحبة الخبز يرتعدون من الخوف .. ولكن صاحبة الخبز صاحت فيهما :

- إلى متى هذا الرعب ؟.. أنا لا أقوى على البقاء هنا كالدجاجة تنتظر الذبح .. لا .. إنني سأرجع إلى بيتي ..

- انتظري يا سيدتي .

- أتركيني .. اتركيني أيتها المدرسة المجنونة .. إن الغلام سيأتي به إليكما .. إليك عني ..



فتحت صاحبة المخبز باب المطبخ فاندفع الهواء يطير الستائر ثم خرجت مسرعة تجري في الشارع نحو بيتها ..

و كان مؤمن ينظر من النافذة يبحث عن السفاح فرأى صاحبة المخبز تحت المطر تجري في الشارع فقال للتاجر :

- البقية في المطبخ والواعظ يحرس باب البيت .. انزل إليهم وأنا سأخرج لتتبع السفاح في الشارع.

كانت صاحبة المخبز تجري وتلهث والمطر يشتد ومؤمن يقفز من النافذة يريد أن يتبعها ليحرسها ولكنها عندما أرادت أن تدخل في شارع جانبي اصطدمت بصدر قوي فلما نظرت إليه وجدته السفاح ينظر إليها مبتسماً ابتسامة مرعبة وقد طوقها

بذراعيه .. فأخذت تصرخ وتصرخ وعلم النائمون في بيوتهم أن مصاص الدم يلتهم فريسة .. ولكنهم لا يستطيعون نجدتها .. أما مؤمن فقد جرى متتبعاً الصوت وهو يطلق ساقيه بقوة شديدة حتى عثر عليهما وصاحبة المخبز قد أغشي عليها فوق الرصيف ومصاص الدماء ينحني فوقها ليبدأ جريمته .. إلا أن مؤمن صاح به قبل أن يفعلها :

- هيه .. أنت .. اتركها .. تعال .. ادنُ مني .. تعال إليَّ أنا .. قابلني .. ترك مصاص الدماء المرأة ثم نهض واقفاً بانحناءته المخيفة ونظر لمؤمن نظرة شرسة وقال بصوت كأنه يأتي من جوف جبل :

- ابتعد أيها الصبي .. ابتعد أنت .. فما أنا بمقاتلك .. لست من ضمن القائمة .

- قائمة .. أي قائمة ؟ ..

- اسمع أيها الغلام .. اذهب واتركني أؤدي مهمتي التي أرسلت إليها .. فلست منهم أنت .

- من هم الذين لست منهم ؟ ابتعد عن المرأة ..

- لن أبتعد .. أنا الغضب .. أنا ذنب هؤلاء القوم الذين تحكَّموا في قوت الناس فأخذوا يغشون ويحتكرون البضائع ويرفعون الأسعار ويخدعون الفقراء من أجل مزيد من المال .. والمال هو دماء الفقراء .. لذا أنا مُرْسَل كي أنتقم للفقراء .

- ولكنك لا تَميز .. ولا تفرق بين غني وفقير ؟..

- حقاً .. أتعرف لماذا .. ؟ لأن الفقير هو الآخر يمتص حق الفقير الذي يشبهه .. بدلاً من أن يثور ويهاجم الغني الطماع فهو يسكت ويستخدم قوته

الضعيفة في مص دماء أمثاله من الفقراء .. لذا فهذه القرية مذنبة ..

- لا .. إن للإنسان فرصة كي يرجع ويتوب .

- ها ها .. أتحسب أن القتلى يموتون لا يا صغيري .. إنهم يتحولون إلى ما فعلوه فبدلاً من أن يعيشوا آدميين يخدعون ويصبحون على حقيقتهم كمصاصين للدم أتعرف من أنا .. أنا صاحب بنك القرية .. كنت أدير مصرفاً وأتعامل بالربا بين الناس فأخذت أمص حقوقهم وآكل أموالهم حتى بعث الله لي ثعباناً يشبه البعوضة فأخذ يمص دمي حتي تركني لحما وعظماً .. وها أنا أقوم بالدور .. اتركني إذن .. وارحل عن هذه القرية .

كانت صاحبة المخبز تسمع الحوار فقامت واختبأت

في ظهر مؤمن وقالت :

- سأتوب .. سأرجع لن أغش الخبز بعد الآن في الميزان .. ولن أحتكر الدقيق بعد الأن صدقني .

فوجئ مؤمن بأنه ليست صاحبة المخبز التي سمعت الحوار فقط فالمطر قد خفّت حدته والناس في بيوت القرية أيضاً سمعوا الحوار .. حتى أن ماري و الواعظ والتاجر والمدرسة أيضاً سمعوا الحوار .. فأخذ الناس يطلون من النوافذ فخرج عامل فقير من نافذته وقال :

- وعد مني .. وعد مني أن أخلص في عملي ولن أترك العمل للراحة مرة أخرى وسأحافظ على الآلات وأتقن ما أفعله وسأحارب الفساد حتى الموت .

وخرج التاجر وصاح دون خوف :

- لقد كدت تقتلني يا مصاص الدماء .. وأنا الآن غير هياب منك ولن أخاف بعد الآن.. أسمعتني.. أعدك بألا أغش في الميزان ولن أرفع الأسعار ولن أربح إلا بما يرضاه الله ولن أحتكر البضائع وسأعمل على نشر الخير ومحاربة الفساد .

خرجت طبيبة القرية وقالت :

- كنت ألوم زوجي الطبيب لأنه يخدع المرضى .. فإذا حضر إليه مريض يشكو من مرض بسيط أوهمه زوجي أنه مريض بعدة أمراض حتى يتردد على العيادة كثيراً ويدفع أموالاً أكثر ويشتري أدوية زائدة عن حاجته .. ولكن أعدكم يا أهل القرية بألا أفعل مثلما فعل زوجي .

وخرج صاحب مصنع الألبان والجبن وقال :

- أعترف بخطأي .. لقد كنت أغش في اللبن وأبيع للناس الجبن بأسعار عالية .. بل أنني كنت لا أدفع حقوق العمال في المصنع كاملة وأكلفهم مزيداً من المشقة دون أجر .. لن أفعل ذلك ثانية .

أخذ الناس يخرجون من بيوتهم دون خوف من السفاح، وقد امتنع المطر وانقشع السحاب فبدا القمر بدراً .. والتفوا جميعاً حوله ينظرون إليه وأخذ الواحد تلو الآخر يعد بأن يسير في الحياة سيراً حسناً طيباً وبعد أن انتهوا من وعودهم .

قال مصاص الدماء الأخير :

- إن قوتي تخور وتضعف .. أشعر بالوهن وعدم الرغبة في الدم .. اسمعوني لا يوجد شئ يمكن أن يقتلني .. لا السيوف ولا النار .. فقط افسحوا لي



الطريق حتي أعود إلي قبري .. واعلموا أنني سأرجع إذا عاد الفساد والغش والخداع والكذب .

كان المنظر مهيباً في جوف الليل وأهل القرية يفسحون على الجانبين طريقاً والسفاح المرعب يسير منحنياً مترنحاً نحو المقابر .. كانوا ينظرون إليه مشفقين رغم ما سببه لهم من خوف وفزع طوال السنين الماضية ، حتى إذا وصل إلى مقبرته دخلها وأغلق الغطاء فوقه .. فاندفعوا جميعاً مسرعين يضعون فوقها الأحجار الضخمة وكأنهم ارتاحوا للأبد من مصاص الدماء المخيف .

ونظروا جميعاً بعد ذلك إلى مؤمن ، الغلام العربي المسلم وقالت صاحبة الخبز :

- أعتذر لك يا ولدي .. لقد ظلمتك .

- لا يا سيدتي .. لا تعتذري .. إن الخوف يدفع

الإنسان لأكثر من ذلك، اسمعوني يا أهل القرية..
العذاب قابع في هذا القبر والخوف والرعب
والدود والعفن والتراب والنار .. اسمعوني .. كل
واحد منا سيعوْد بعد حين يعلمه الله إلى القبر..
إلى الأرض التي خُلِقْنَا منها .. فمن سيعيش بين
الناس بالفساد والظلم والمعصية العلنية ويأتي
موته سيستقبله في القبر زبانية العذاب أمثال هذا
المصاص المرعب .. الآخرة ..وأما من خاف الله
واتقاه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى
والمصير السعيد عند الله .. وفي النهاية فإنني
أحمد الله على أن وفقني لهذا ..
ولا تظنون أن ما رأيتموه كان سفاحاً حقيقياً إنما
هو ظلمكم لأنفسكم وللآخرين ظهر وكأنه شبحٌ

يمتص الدمـــاء ويقـــتل ويذبح فـــاحـــذروا أن تكونوا مصاصي دماء !!

فرح الناس بالأمان وكان الفجر يبزغ والشمس ترسل رُسُلَهَا بأشعة منيرة وحمل الناس مؤمن على أكتافهم وعادوا إلى ميدان القرية وهم يغنون ويرقصون في الشوارع، وأقيمت الزينات، وأحس الجميع كأن الخير يمشي على رجلين بين البيوت بعضها البعض ولم يكن أمام الجميع إلا أن يحتفلوا بمؤمن احتفالاً يليق بما قدمه للقرية من جميل كبير ..

وبالليل وهم في غبطة وسرور وفرح وحبور أتى الواعظ يحمل قطعة من القطيفة وقال :

- ولدي العزيز مؤمن .. بالأمس فتحت لنا أبواب الخير والأمن والهدوء وجعلتني أخرج من غفلتي وأعرف أن الدين عند الله هو الإسلام .. لذا فأنا يا

أهل القرية .. أشهدكم بإيماني بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد بن عبدالله نبياً ورسولاً .. لا إله إلا الله محمد رسول الله .. ومن كان يريد الموعظة مني بعد اليوم فليعلم أنني مسلم موحد بالله .. وهذه يا مؤمن يا ولدي هديتي إليك .. أغلى جوهرة في القرية وأفضل ما وجدته في متحف القرية نظر مؤمن إلى الجوهرة وقال :

« أنت يا جوهرة التاج .. لم أكن أفكر فيك أبداً .. ولكن الله لم ينسَ أنني أبحث عنك .. ذكرت الله وعملت على نصرته فذكرني وعمل على مكافأتي والحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً كافيه » .

تمت بحمد الله تعالى .